

أضواء على مؤلف كتاب نقائض جرير والأخطل

للمهندس الاستاذ حاتم غنيم

مقدمة :

منذ أعوام عدة ، وكان الصديق الدكتور عبد المجيد المحتسب قد نشر كتابه عن نقائض جرير والأخطل (١) ، تطرق بنا الحديث الى موضوع كتاب نقائض جرير والأخطل المنسوب الى أبي تمام ، والذي حققه وطبعه الأب صالحاني اليسوعي سنة ١٩٢٢ . وعلمت منه حينذاك ان الرغبة تراوده على إعادة تحقيقه ونشره ، اذ ان نسخه كانت فقدت من الأسواق ؛ كما ان ظهور كثير من الكتب المطبوعة حديثا ، (مثل ديوان جرير (٢) الذي حققه الدكتور نعمان محمد أمين طه ، وديوان الأخطل (٣) الذي حققه الدكتور فخر الدين قباوة ونشره عن نسخة طهران الخطيية) ، اضاف شيئا من وضوح الى بعض ما اشكل أمره من النصوص والشروح ، مما يساعد في التحقيق . ثم اطلعتني على أنه قد حصل على صورة للنسخة الخطيية المحفوظة في الكتبخانة العمومية ببيازيد في استنبول ، والتي اعتمدها طبعة اليسوعيين ؛ وأنه على الرغم من تكبده المشاق في البحث عن طبعة اليسوعيين هذه في المكاتب العامة والخاصة ، فإنه لم يستطع التوصل الى نسخة منها هنا في الاردن . عند ذلك أخبرته بوجودها في مكتبتي ، ثم أمرته أياها ، لكنه أعادها بعد فترة مبينا لي أنه قد غرض النظر عن

(١) من منشورات مكتبة المحتسب ودار الفكر سنة ١٩٧٢ .

(٢) نشرته دار المعارف بمصر في مجلدين سنة ١٩٦٩ و ١٩٧١ ضمن سلسلة ذخائر العرب .

(٣) صدر عن دار الأسمى بطلب في جزأين سنة ١٩٧١ .

اعادة تحقيق الكتاب . ولعل ما حداه على ذلك ظهور طبعة حديثة مصورة عن الطبعة القديمة للكتاب (٤) . ولست أدري انفض الدكتور المحتسب يده من الكتاب وتحقيقه أم لا ، وأرجو ألا يكون فعل ؛ ولكن ما دعائي الى ذكر هذه المقدمة هو حديث كنا طرقتاه عن توثيق نسبة الكتاب الى ابي تمام ، وما ذكره الدكتور المحتسب في كتابه (٥) عن شكّه في هذه النسبة . وأنداك كان في نفسي أيضا ما فيها من هذا الأمر ، فرجوته لو قام في مقدمته لتحقيقه الجديد للكتاب ، بدراسة يتحرى فيها المؤلف الحقيقي او على الأقل من يرجح نسبة الكتاب اليه . ولكن صرفه النظر عن اعادة تحقيق الكتاب حملني على أن أقوم بهذا البحث ، اكتمالا لموضوع ترك ناقصا ، وأثر حوله الكثير من التساؤل والتشكيك ، علي أقف على جليسة وضع التمس ، وأمر اشكل .

العوامل الداعية الى الارتياب في مؤلف الكتاب :

لعل أول من رفض نسبة النقائض الى ابي تمام كان العلامة الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ؛ فقد قال في مقدمته لكتاب الوحشيات (٦) ان الكتاب « ليس له البتة . وأظن بعد الوقوف على ما في فهرست النديم أنه للاصمعي ، كما وردت فيه كنيته أبو سعيد غير ما مرة ، وذلك برواية السكري لعليه » (٧) .

كما أبدى الاستاذ المحتسب شكه أيضا في نسبة هذا الكتاب الى ابي تمام . وكان دافعه الى ذلك أمور منها :

- (٤) اعادت طبعتها بالأمست دار المشرق ببيروت دون ذكر سنة الطباعة .
- (٥) ص (١٧) .
- (٦) شارك في تحقيقه الاستاذ محمود محمد شاكر ونشرته دار المعارف بمصر ضمن سلسلة ذخائر العرب سنة ١٩٦٢ .
- (٧) ص (٥) .

« اولا : ان هذه النقائض غير مسندة الى ابي تمام عن احد من الرواة العلماء ؛ فلم يروها احد من الرواة عن ابي تمام ؛ كما نرى في مصنفات القرنين الثاني والثالث الهجريين ، او كما نرى ذلك عند زميلتها نقائض جرير والفرزدق . وهذا واضح من عنوان الكتاب وبدايته ؛ فعنوان الكتاب : نقائض جرير والاخلط ، تأليف الامام الشاعر الأديب الماهر ابي تمام . وبدايته (٨) : نقائض جرير والاخلط ، تأليف الامام الشاعر الأديب الماهر ابي تمام رحمه الله آمين . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله كما هو اهله وصلى الله على محمد وآله . كان من حديث حرب قيس وتغلب أن معاوية بن أبي سفيان هلك واستعمل ابنه يزيد بن معاوية فبايعه الناس ما خلا هذا الحي من قيس السخ . . . »

« ثانيا : لا نرى ذكرا كثيرا في هذه النقائض لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، وهو الذي اعتمد عليه ابو عبيدة وغيره من العلماء في نقل كثير من أخبار جدّه جرير وأشعاره ؛ مع العلم بان ابا تمام وعمارة كانا متعاصرين .

« ثالثا : لم نسمع عن ابي تمام بأنه لقبّ « الامام الشاعر الأديب الماهر » في غير هذا الكتاب ؛ والدارج اسمه حبيب بن أوس الطائي ، وكنيته ابو تمام . ونرى ذلك واضحا في أشهر اختياراته : الحماسة ، والنوحشيات ، وهو الحماسة الصغرى ، ومختار اشعار القبائل » (٩) .

(٨) هذا ما جاء في طبعة اليسوعيين . أما النسخة الخطية نجاء اسم الكتاب

والمؤلف في صفحة الفسلاف فقط ، وابتدأت الصفحة التالية بالبسلة .

(٩) نقائض جرير والاخلط — تأليف الدكتور عبد المجيد المحتسب ، ص (١٧ — ١٨) .

لا ريب في ان هذه الاعتراضات كلها لها وجه وقيمة ، بالإضافة الى ما ذكره العلامة الميمني (١٠) من أن اسم المؤلف كان أضيف الى صفحة الغلاف بخط حديث مخالف لخط النسخة الاصل . وهذا كاف لان يدعو الى الشك والتساؤل ، فكيف وقد أضيف اليه أمور تؤكد هذا الشك وتزيد من هذا التساؤل ؟ لذلك وجدت نفسي ضمن المرتابين في صاحب الكتاب ؛ غير انني كنت اميل الى الاعتقاد بأن مؤلفه هو ابن حبيب ، لا الأصمعي كما حمن الاستاذ الميمني ، وذلك لاسباب سأذكر بعضها تالياً . ثم اني رجعت عن هذا الرأي بعد أن وقفت على نصوص تخالف ما كنت عليه ، مما سأبينه فيما يلي من فقرات .

نصوص مؤيدة لنسبة الكتاب الى ابي تمام :

قبل نحو سنتين وقعت على ثلاثة نصوص في كتاب « شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل » (١١) ينقل فيها الشهاب الخفاجي عن ابي تمام فقرات يستشهد بها . فهو يقول في كتابه (ص ٤٧) : « ابن المراغة : قال ابو تمام في شرح المناقضات : يقولون انها رذيلة ولدته في مراغة الدواب او كانت كالمراغة لمن ارادها . . . »

ويقول (ص ٩٧) مشيراً الى البيت :

ملاعِبَ جَنَّانِ كَسَانِ تَرَابِهَا اِذَا طَرَدَتْ فِيهِ الرِّيحُ مَغْرِبُلُ

« ذكره ابو تمام في شرح المناقضات »

(١٠) الوحشيات - المقدمة - ص (٥) والذي رأيته في النسخة المصورة للمخطوطة والمحفوظة في مكتبة الجامعة الاردنية يظهران صفحة الغلاف بكاملها كتبت بخط مغاير لخط النسخة الاصل .

(١١) للشهاب الخفاجي - تحقيق عبد النعم خفاجي - المطبعة النيرية بالازهر سنة ١٩٥٢

ويقول (ص ٢٠١) : « قال ابو تمام في شرح المناقضات : يقال فتح
السيف اذا انتضاه . وانشد يزيد بن مفرغ :

ويومٌ فتحتُ سيفك من بعيدٍ اضعتُ، وكلُّ أمرِك للضياع . . »

وبعد الرجوع الى كتاب النقائض وجدت النصوص الثلاثة هذه فيه .
ففي ص ١٣٩ : « وقوله يا ابن المراغة : يقال أنها ولدته في مراغة دواب ،
ويقال بل كانت كالمراغة لن ارادها . . » . ونجد في ص ٥٥ من النقائض
أبا تمام يروي البيت الذي ذكره الشهاب للأخطل كما رواه في « شفاء
الغليل » . أما في الصفحة الثامنة من النقائض فنجد النص كما يلي :
« . . . فقال أتينا والله ، افتحوا سيوفكم ، يريد انتضوها . فبلغ ذلك
يزيد بن مفرغ فقال :

ويومٌ فتحتُ سيفك من بعيدٍ اضعتُ، وكلُّ أمرِك للضياع . . »

هذه النصوص تدلنا على أن الشهاب الخفاجي نقل عن كتاب
نقائض جرير ، والأخطل ونسبه الى أبي تمام . فهل في هذا ما يزيد الارتياب
في النسبة ، أم ان النسخة الأصل التي نشر الكتاب عنها قد تكون وقعت في
يد الشهاب ونقل عنها ، فمؤه عليه ما أضيف الى العنوان وانتهى به
الى الخطأ ؟ . .

نكاد نجزم بأن نسخة الشهاب هي غير نسختنا الأم ؛ فهو يسميها
في المواضع الثلاثة « شرح المناقضات » . وربما اختصر هذا العنوان
عن « شرح مناقضات جرير والأخطل » أو « شرح المناقضات بين جرير
والأخطل » مثلاً ؛ فهو استعمل كلمة « شرح » وهي غير واردة في
عنوان نسختنا ولا في نهايتها ؛ كما استعمل « المناقضات » بدل « النقائض »
التي جاءت في أول نسختنا وآخرها . ونرجح ان الشهاب لو نقل عن
نسختنا لكان اختصر الاسم الى « النقائض » أو قال : « ذكره ابو
تمام في نقائضه » مثلاً . .

هذا التباس ممين بأن يجعلنا نتيقن من أن الشهاب الخفاجي أطلع على نسخة ثانية من نقائض جرير والأخطل معزوة لأبي تمام ، مما يعزز هذه النسبة .

ورغم أن هذا دليل قوي على أن الكتاب لأبي تمام ، وأخلق به أن يكون حاسما ، إلا أنه لا يكفي في حالة وجود أدلة تتعارض وهذا الافتراض . لذلك أخذت على نفسي أن أنقُر عن صحة ما توسمه الشاكُون في هذا الأمر ، عسى أن يكون الصواب حليفهم . وكان عليّ قبل أن أصل إلى الرأي الأخير إلا آلو جهدا في وزن الحجج ، ورفض ما حقه الرفض ، وترجيح ما نصيبه الرجحان .

دراسة احتمالات أخرى لهوية المؤلف :

ذكر في الفهرست (١٢) أن نقائض جرير والأخطل صنعها أبو عمرو (الشيباني ؟) والأصمعي ، واثبت ذلك بطريقة قد توحى بأن أبا سعيد السكري صنعها أيضا . فهل كانت النسخة التي وصلت إلينا من عمل الأصمعي وبرواية السكري كما رجح العلامة الميمني ؟ .

لمعرفة ذلك قمت بحصر الرواة والُشراح من العلماء المعروفين الذين مر ذكرهم في الكتاب ، لعل ذلك يقودنا إلى نتائج تلقسي ضوءا قد ينير الغموض الذي يحيط بمؤلف الكتاب . وهذه قائمة بهؤلاء الرواة والعلماء :

- ١ — أبو سعيد ، وسننظر في هويته فيما بعد ٩ مرات
- ٢ — أبو عمرو الشيباني اسحق بن مرار . كوفي نزل بغداد . توفي سنة ٢٠٦ أو ٢١٣ أو ٢١٦ هـ . ٥ مرات

(١٢) للنديم — تحقيق رضا تجدد — طهران ١٩٧١ ص (١٨٠) .

- ٣ — الأصمعي عبد الملك بن قريب . بصري . كانت وفاته
سنة ٢١٦ أو ٢١٧ هـ ٤ مرات
- ٤ — أبو عبيدة معمر بن المثنى . بصري . كانت وفاته سنة
٢٠٨ أو ٢٠٩ هـ ٤ مرات
- ٥ — هشام بن الكلبي أبو المنذر . كوفي نزل بغداد وتوفي في
الكوفة سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ . كان الأصمعي يتهمه (١٢) . ٣ مرات
- ٦ — ابن عياش عبد الله المنتوف ابو الجراح الهذاني الكوفي
توفي سنة ١٥٨ هـ مرتان
- ٧ — الفراء يحيى بن زياد أبو زكريا . كوفي توفي سنة ٢٠٧ هـ مرتان
- ٨ — ابن الاعرابي ابو عبد الله محمد بن زياد . كوفي توفي
سنة ٢٣١ هـ مرتان
- ٩ — الكسائي علي بن حمزة . كوفي نزل بغداد وتوفي سنة
١٨٠ أو ١٨٣ أو ١٨٩ هـ مرة واحدة
- ١٠ — الهيثم بن عدي . كوفي بغدادي توفي سنة ٢٠٦ أو ٢٠٧ هـ
أو ٢٠٩ هـ مرة واحدة
- ١١ — الأثرم علي بن المغيرة أبو الحسن . بصري نزل بغداد .
توفي سنة ٢٣٢ هـ مرة واحدة
- ١٢ — الجهضمي نصر بن علي . بصري نزل بغداد وتوفي سنة
٢٥٠ هـ (أو أبوه علي بن نصر المتوفى سنة ١٨٧ هـ) مرة واحدة

(١٣٤) انظر لسان الميزان لابن حجر — نسخة بالانست عن طبعة حيدر اباد الدكن
سنة ٢٩ — ١٣٣١ هـ ج ٦ ص ١٩٦ .

١٣ — عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير . من اليمامة سكن بادية
البصرة وزار بغداد . توفي سنة ٢٣٩ هـ مرة واحدة

مما تقدم نستبعد أن يكون الكتاب للأصمعي ، فقد ورد لقبه غير
مكنى أربع مرات ، كما أن مجموع ما روي عن أبي عبيدة وأبي عمرو
الشيباني وابن الأعرابي يكاد يتساوى مع ما روي عنه باللقب والكنية .
ومن الغريب أن يذكر كاتب الأصمعي بالكنية مجردة ، مما يوحي بأنه اتصل
به وقرا عليه ونقل عنه ، ثم يروي عن ابن الأعرابي والأثرم . كما أننا
نستبعد أن يروي الأصمعي عن هشام بن الكلبي ، وكان يتهمه ، وهو
بصري وهشام كوفي .

وقد نقلت كتب اللغة روايات وشروحا عن الأصمعي تخالف ما جاء
في النقائض عن (أبي سعيد) ، مما يرجح أن أبا سعيد هذا ليس بالأصمعي ؛
فمن ذلك ما جاء في نقائض جرير والأخطل (ص ١٨) : « نافع : ثابت ، قال
أبو سعيد : سم نافع أي قاتل » . في حين روى الأزهرى في تهذيب
اللغة (١٤) — مادة نفع — : « قال الأصمعي : . . . وسم نافع ثابت . وقال
ابن الأعرابي : النقيع أنسم الثابت . يقال سم منقوع ونقيع ونافع . . .
قلت (الأزهرى) : يقال سم نافع أي قاتل ، وقد نفعه إذا قتله . . . وهذا
سماعي عن العرب » .

كما جاء في النقائض (ص ١٥٣) : « قال أبو سعيد : يقال أشاطوا
إذا رفعوا عليه ما يعنل (يقتل ؟) به . . . » وروى التهذيب — شاط — (١٥)
عن الأصمعي : « أشاط دم جزور أي سفكه ، . . . وأشاط فلان فلانا إذا
أهلكه » .

(١٤) نشرة الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٤ — ١٩٦٧ بتحقيق جماعة من
الاساتذة . أنظر ج ١ ص ٢٦٢ من الكتاب .
(١٥) المرجع السابق ج ١١ ص ٣٩٠ .

كذلك جاء في النقااض (ص ٣) :

« وان عصفت عليكم فاعصبوها عصابا تستدر به شديدا

وان صعبت أجود ، قال أبو سعيد : وان عصفت أي كما تعصف
الريح ، أي لم تطمئن بكم . . . » وفي التهذيب — عصب — (١٦) : « روى أبو
عبيد عن الأصمعي البيت : فان صعبت . . . » .

كل هذا يدعونا الى التردد في قبول نسبة الكتاب الى الأصمعي ،
ونرى أن واضع الكتاب من الذين رووا او اطلعوا على رواية كل من
البصريين والكوفيين ، وهذا ينطبق على أبي سعيد السكري . فهل
أصاب العلامة الميمني في تقديره مرة أخرى ؟ .

نشك أن يكون السكري هو أبو سعيد واضع الكتاب ، وذلك
لما يلي من الأسباب :

أ — لم يذكر الوساطة في نقله عن الأصمعي وأبي عبيدة . وكان السكري
في أكثر روايته عنهما يعتمد ابن حبيب ، ولكن هذا لم يرد له
ذكر في الكتاب .

ب — عمل السكري شعر الأخطل فجوده (١٧) ولكننا نجد أن نسخ ديوان
الأخطل الذي صنعه السكري قد أخلت بالنقيضة :

(حي الطلعائن اذ رحلن بكورا)

ولا يعتل أن يكون عرفها ولم يثبتها في الديوان .

(١٦) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨ .

(١٧) الفهرست ص (١٧٦) .

كما نلاحظ اختلاف النصوص الشعرية والشروح في النقائض عنها في نسخ ديوان الأخطل ، سواء من حيث عدد الأبيات أو ترتيبها أو الرواية فيها . نذكر من ذلك أن قصيدة الأخطل (الايا اسلمي يا هندُ هندُ بني بدر) زادت في النقائض احد عشر بيتا عما جاءت في اكمل نسخ ديوان الأخطل . وتزيد قصيدة الأخطل :

(كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالاً)

ببتين عما في نسخ الديوان ، كما زادت النقائض عن نسخ الديوان بيتا في قصيدة الأخطل : (خف القطين فراحوا منك أو بكروا) ، وكلها من أشهر قصائد الأخطل ؛ وما كان السكري ليغفل منها أبياتا لو كان يعرفها .

أما اختلاف الرواية فكثير ، نذكر منه ما جاء في القصيدة الأولى من الديوان كمثال ، على الرغم من أن التفاوت فيها قليل مقارنة بغيرها من القصائد . وقد اعتمدنا لديوان الأخطل طبعة الدكتور فخر الدين قباوة عن نسخة طهران ، وطبعة الأب انطون صالحاني عن نسخة بطرسبرغ (١٨) :

رقم البيت	طبعة قباوة	طبعة صالحاني	النقائض
٢٧-	وجوز فلاة ما يغمض	ما يغمض	ما يعرس (مع شرح للتعريس)
٢٨-	لا يهتدي له — وما	لا يهتدي له —	لا يهتدي به — ولا
٣٤-	جنيها	جنيها	جيينه

(١٨) ديوان الأخطل — نشر الأب انطون صالحاني اليسوعي — الطبعة الثانية — دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٩٦٩ .

بقايا ركاء (وفي الشرح
قلات)

(الشرح : هشام بن
المغيرة المخزومي ،
ونوفل بن عبد مناف .
وعن ابي المنذر :
هشام — الجود
ونوفل — العطايا)

بقايا قلات

لما احتملت

(غير موجود)

مطافيل

الى الله فيها

أمرك الجحاف — وسط
البيوت (مع شرح
لامرك مما يؤكد
الرواية)

لقد كان في الفرقان —
(الشرح يذكر الجيران)

فنجيا

فان تحملوا — وان
عظمت .

٢٧— بقايا قلات

٥٠— (الشرح : هشام :
هاشم بن عبد
مناف ، ونوفل بن
عبد مناف)

٥٢— بما احتملت (وبيروى
بما احتملت)

٤ — وشرق للدهنا

٦٠— مطافيل

٦١— الى الله منها

٦٤— اتاك به الجحاف —
وسط البيوت

٦٥— لقد كان للجيران

٦٦— ونجيا

٦٨— وان تحملوا — وان
ثقلت

أما اختلاف ترتيب الإبيات فكثير جدا ، ولا داعي لاعطاء امثلة عليه .

ج — تمر جمل تؤكد أن الراوي هو غير (أبي سعيد) ، كما جاء في الصفحة الأولى : « قال : واخبرني أبو سعيد عن ابن الكلبي أيضا » ، مما يفيد أن جامع الكتاب ليس أبا سعيد ، لان أبا سعيد السكري لم يُرو مباشرة عن أبي سعيد آخر ، ولا يعقل أن يروي عن الأصمعي مباشرة (١٩) .

لكل ما تقدم نتيقن أنه من المستبعد أن يكون صاحب الكتاب هو الأصمعي أو السكري ؛ فالأدلة التي تتناهى وهذه النسبة كثيرة ، فعلينا إذن أن نبحث في اتجاه آخر لعلنا نصل الى خيط يقودنا نحو الحقيقة .

احتمال آخر :

خالجتني فكرة علق أبوهمي في أن يكون صاحب الكتاب هو ابن حبيب ، وان النسبة لأبي تمام كانت خطأ في القراءة ، حيث أن حبيبا هو اسم أبي تمام ، فلعل كلمة (ابن) كانت سقطت من نسخة أم فجاء ناسخ وفسر حبيبا بأبي تمام . وابن حبيب قام بعمل نقائص جرير والفرزدق وديوان جرير . ولكنني بعدما تحريت جلية الأمر تيقنت أن ابن حبيب ما جاز أن يكون مؤلف الكتاب ، والبك ما حملني على هذا التحقق :

أ — لم يمر ذكر لابن حبيب في الكتاب لا باللقب ولا بالكنية ، على كثرة ما ذكر من الرواة ، ونحن نعرف أن هذه الكتب كانت تدرس على الأئمة وتروى عنهم ، فكان لا بد أن يظهر الاسم في ثنايا الكتاب كما هي الحال في نقائص جرير والفرزدق وديوان جرير . وللدكتور المحتسب تحفظ على نسبة الكتاب لأبي تمام معني على المسألة نفسها (٢٠) . ولكننا سنعالج ذلك تاليا .

(١٩) ولد أبو سعيد السكري سنة ٢١٢ هـ ، وتوفي الأصمعي سنة ٢١٦ أو ٢١٧ هـ .

(٢٠) نقائص جرير والاختلاف تأليف الدكتور المحتسب ص (١٧) .

بـ — عندما روى ابن حبيب نقائض جرير والفرزدق عن أبي عبيدة ،
وأضاف إليها مما نقل شيئا وحذف شيئا ، لم يرو الجزء الأكبر (٢١)
من نقائض جرير لشعر الفرزدق في عمله لديوان جرير ، مكتفيا
بما جاء في النقائض ؛ وكذلك عمل في ديوان الفرزدق (٢٢) . لكنه
لم يفعل ما يشاكل هذا في نقائض جرير للاختلاف . بيد أننا لا نرى
في ذلك دليلا قاطعا على أن ابن حبيب لم يتم بعمل هذه النقائض
التي بين أيدينا ؛ إذ ربما كان قام بوضعها بعد عمله لشعر جرير .
وقد ذكر ابن النديم أن ابن حبيب عمل نقائض جرير وعمر بن لجأ ؛
وربما كان صاحب « منتهى الطلب » نقل أشعار ابن لجأ عنها (٢٣) .
وعلى الرغم من أن هذه لم تصل إلينا ، إلا أننا نرى كثيرا من أشعار
هجاء جرير لعمر بن لجأ في ديوانه . لذلك لا يمكننا اعتبار هذا الأمر
قولا فصلا ، بل عاملا مرجحا يضاف إلى غيره من الأدلة . وسنذكر
في الفقرة التالية ما جعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن ديوان جرير
كان يجب أن يسبق النقائض ، لو صح أن هذه الأخيرة من صنع
ابن حبيب .

جـ — تختلف رواية شعر جرير في النقائض عما هي عليه في الديوان .
ولنمثل ذلك بالتصيدة الأولى في ديوان جرير (طبعة دار المعارف) :

في الديوان تتكون هذه التصيدة من ٥٣ بيتا ، في حين أنها
في النقائض تضم ٥٨ بيتا ؛ فهي تنقص ستة أبيات عن رواية

(٢١) نعتقد أن ابن حبيب لم يرو جميع ما جاء في كتاب نقائض جرير والفرزدق الذي صنعه
هو (راجع الفهرست ص ١١١٩) وأن هذه النقائض تخالف نقائض أبي عبيدة
« المطبوعة » في أنها لا تشمل سوى نقائض جرير والفرزدق ، وأهملت نقائض جرير
والبصيص وغسان السليطي . الخ . ولنا بحث في هذا الأمر نرجو أن ينشر قريبا .
(٢٢) راجع ديوان الفرزدق تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي — الطبعة الأولى —
مطبعة الصاوي سنة ١٩٣٦ .

(٢٣) راجع (شعر عمر بن لجأ التميمي) جمع الدكتور يحيى الجبوري — دار الحرية
للطباعة سنة ١٩٧٦ — ص (١٨) . وجميع ما جاء في منتهى الطلب لعمر كان
في هجاء جرير .

النقائض ، وفيها بيت غير موجود في النقائض . هذا الى تفاوت
في تنالي الأبيات . أما تبين الرواية فيهما فكما يلي :

رقم البيت	الديوان	النقائض
٣ -	لم أر	لم نلق
٤ -	وكنت مربة (مع شرح المربة)	وكنت محلة (مع شرح المحلة)
٦ -	بعد الوجيف (مع شرح الوجيف)	بعد الذميل (مع شرح الذميل)
٩ -	يجعلن مدفع عاقلين ايامنا	فجعلن برقة عاقلين ايامنا (مع شرح مدفع)
١٠ -	اذا افتخرن	اذا اعتزين (مع شرح الاعتزاء)
١٣ -	لو ان - انزلا	ولو ان - انزل
١٤ -	حييت لست (مع ذكر رواية : كرى فلسنت)	فيئي فلسنت (مع شرح فيئي) اذ يسقن (مع شرح الوخذ !!)
١٧ -	بكل أبيض	بكل اشعث
٢٦ -	تكر	تشد
٢٧ -	اباركم	ابادكم
٢٨ -	راياتهم	راياتنا
٢٩ -	تجمع (وكررها في الشرح)	تجزر

رقم البيت	الديوان	النقائض
—٣٢—	لقيت	رايت
—٣٣—	فاعترف	فاحتجر
—٣٤—	لو أن	ولو أن
—٣٦—	معشر (مع ذكر رواية تدرا)	تدرا
—٣٧—	راحت خزيمة	وردا بلادك
—٣٩—	ما كنت تلتقى — إذا ركبوا	ما كان يوجد — إذا فزعوا
—٤٠—	صَبَّحِينَ	فَصَبَّحِينَ
—٤٢—	لتحرمَنَّ	لقد حرمت
—٤٦—	تحوي ألنهاب	تسبي النساء
—٤٨—	احسابها	أحلامها
—٥١—	ورميت — فقد لقيت	أرميت — لقد لقيت

ولم يرد في النقائض البيت رقم ٥٢ في الديوان

أما الأبيات التي لم ترد في الديوان ووردت في النقائض فهي الأبيات من ٤٦ — ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٥ حسبما جاءت في النقائض .

وربما أمكننا تفسير زيادة أبيات هذه القصيدة في النقائض عما هي عليه في الديوان ، بكون النقائض قد وضعت بعد صنع الديوان ، وهذا يناقض ما حاولنا اثباته في الفقرة السابقة . إلا أن ذلك لا يساعدنا في تبيان سبب نقصان بعض قصائد جرير في النقائض عنها في الديوان . فقصيدته (وَدَّعَ أَمَامَهُ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ) ، مثلا ، تنقص ١٤ بيتا . ثم كيف يمكننا

تفسير الاختلاف في الشرح ، كما جاء في شرح الهديل (البيت السابع من هذه القصيدة) والوريقة (البيت العاشر منها) .

وقد تكرر الاختلاف في الشرح بين الديوان والنقائض ، نذكر من ذلك شرح (روبل) و (ذات الفليس) و (الاشكل) — الديوان ص ١٤١ و ١٤٣ ، والنقائض ص ٦٦ و ٦٨ و (اوزار الحرب) و (يوم حزه) و (الحومة) — الديوان ص ٢٦٢ و ٢٦٣ ، والنقائض ص ٤٦ .

كل هذا — مجتمعا — يحدونا على اسقاط احتمال أن يكون الكتاب من صنع ابن حبيب . ولا مناص بعد ذلك — وقد اسقطنا من قبل احتمالات أخرى — ولا غضاضة في أن نرجع السى نسبة الكتاب الى أبي تمام ، فننوسم مدى صحتها ونسبر غور دلائلها الموافقة والمخالفة .

دراسة ما ورد في كل من النقائض وكتب أبي تمام الأخرى :

في هذه المقارنة السريعة بين النصوص المشتركة الواردة في كتاب النقائض والكتب الأخرى التي فيها أبو تمام ووصلت اليها ، نحاول أن ننلمس طريقا قد يوصلنا الى المؤلف الحق للكتاب . والنصوص المشتركة قليلة ، نظرا الى أننا لم نقع على جميع ما ألف أبو تمام من الكتب . ولو بدانا بأكثر هذه الكتب أهية ، وهو كتاب الحماسة (٢٤) ، لا ريب ، نجد ان النصوص المشتركة لا تزيد على أربعة ، هي :

١ — قصيدة عمرو بن مخلد الحمار الكلبى — النقائض ص ١٨ — ومطلعها :

(٢٤) اعتمدنا في دراستنا لنصوص الحماسة : شرح الحماسة للموزوني ، تحقيق عبد السلام هرون وأحمد أمين — الطبعة الثانية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧ — ١٩٧٢ .

رقم البيت	الديوان	النقائض
—٣٢	لقيت	رايت
—٣٣	فاعترف	فاحتجر
—٣٤	لو أن	ولو أن
—٣٦	معشر (مع ذكر رواية تدراً)	تدراً
—٣٧	راحت خزيمة	وردا بلادك
—٣٩	ما كنت تلقى — إذا ركبوا	ما كان يوجد — إذا فزعوا
—٤٠	صَبَّحِينَ	فَصَبَّحِينَ
—٤٢	لتحرمنَّ	لقد حرمت
—٤٦	تحوي النهاب	تسبي النساء
—٤٨	أحسابها	أحلامها
—٥١	ورميت — فقد لقيت	أرميت — لقد لقيت

ولم يرد في النقائض البيت رقم ٥٢ في الديوان

أما الأبيات التي لم ترد في الديوان ووردت في النقائض فهي الأبيات

من ٤٦ — ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٥ حسبما جاءت في النقائض .

وربما أمكننا تفسير زيادة أبيات هذه القصيدة في النقائض عما هي

عليه في الديوان ، بكون النقائض قد وضعت بعد صنع الديوان ، وهذا

يناقض ما حاولنا إثباته في الفقرة السابقة . إلا أن ذلك لا يساعدنا في تبيان

سبب نقصان بعض قصائد جرير في النقائض عنها في الديوان . فقصيدته

(وَدَّعْ أُمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ) ، مثلاً ، تنقص ١٤ بيتاً . ثم كيف يمكننا

تفسير الاختلاف في الشرح ، كما جاء في شرح الهديل (البيت السابع من هذه القصيدة) والوريقة (البيت العاشر منها) .

وقد تكرر الاختلاف في الشرح بين الديوان والنقائض ، نذكر من ذلك شرح (روبل) و (ذات الفليس) و (الاشكل) — الديوان ص ١٤١ و ١٤٣ ، والنقائض ص ٦٦ و ٦٨ و (اوزار الحرب) و (يوم حزه) . و (الحومة) — الديوان ص ٢٦٢ و ٢٦٣ ، والنقائض ص ٤٦ .

كل هذا — مجتمعا — يحدونا على اسقاط احتمال أن يكون الكتاب من صنع ابن حبيب . ولا يتأص بعد ذلك — وقد اسقطنا من قبل احتمالات أخرى — ولا غضاضة في أن نرجع السى نسبة الكتاب الى ابي تمام ، فتتوسم مدى صحتها ونسير غور دلائلها الموائقة والمخالفة .

دراسة ما ورد في كل من النقائض وكتب ابي تمام الأخرى :

في هذه المقارنة السريعة بين النصوص المشتركة الواردة في كتاب النقائض والكتب الأخرى التي ألفها أبو تمام ووصلت اليها ، نحاول أن نتلمس طريقاً قد يوصلنا الى المؤلف الحق للكتاب . والنصوص المشتركة قليلة ، نظرا الى أننا لم نقتع على جميع ما ألف أبو تمام من الكتب . ولو بدأنا بأكثر هذه الكتب أهمية ، وهو كتاب الحماسة (٢٤) ، لا ريب ، نجد أن النصوص المشتركة لا تزيد على أربعة ، هي :

١ — قصيدة عمرو بن مخلاة الحمار الكلبى — النقائض ص ١٨ — ومطلعها :

(٢٤) اعتمدنا في دراستنا لنصوص الحماسة : شرح الحماسة للموزوني ، تحقيق عبد السلام عرون وأحمد أمين — الطبعة الثانية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧ — ١٩٧٢ .

ويوم ترى الرايات فيه كأنها عوائق طير مستدير وواقع

وردت في النقائض في ١٢ بيتا ، اختار منها أبو تمام في الحماسة
— ص ٦٤٧ — ستة أبيات هي ذوات الأرقام ١ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ،
٦ ، ٩ . وفي روايتها بمض الاختلاف ، نوجزه بما يلي :

رقم البيت	النقائض	الحماسة
١ —	عوائق	حوائم
٣ —	أجابت (وهو تحريف ناسخ)	أصابت
٧ —	صبور	طوال

ونلاحظ اجمالا أن الاختلاف هين ، يضاف الى ذلك أن اسم
الشاعر جاء في كلا الكتابين « عمرو بن مخلاة الكلبى » .

ب — تصيدة جواس بن التعلطل الكلبى — النقائض ص ١٩ — ومطلعها :

وكم من أمير قبل مروان وابنه كسفنا غطاء الموت عنه فأبصرا

وابياتها في النقائض ١٢ ، اختار منها أبو تمام في الحماسة
— ص ١٤٩٢ — سبعة أبيات ، ترتيبها : ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١ ، ٢ ،
٦ ، ٧ . والاختلاف في الرواية كما يلي :

رقم البيت	النقائض	الحماسة
١ —	كم ، غطاء الموت	فكم ، غطاء الغم
٢ —	ومستلحم نفست — مقاتله	ومستسلم نفسن ، نواجذه
٦ —	إذا فآخر	إذا افتخر
٧ —	وما كان في قيس بن غيلان	فما كان في قيس من سيد ابن حفيظة

وجميع الاختلافات (ما عدا ما جاء في البيت السادس)
ذكرها المرزوقي كرواية أخرى للآبيات ، مما يؤكد لنا أنها الرواية ،
وغيرها أبو تمام لتلائم ذوقه ، جريا على عادته في تغيير
النصوص (٢٥) .

وقد ورد اسم الشاعر في الكتابين : « جواس الكلبى من
بني عدي بن جناب » .

ج - بيتان للحصين بن الحمام في النقائض - ص ١٢ - أولهما :

فلمست بمبتاع الحياة بسببة ولا مرتقى من خشية الموت سلما

جاء هذا البيت آخر ١١ بيتا رواها أبو تمام في الحماسة
- ص ٣٩٢ - وجاء فيها (بذلة) بدل (بسببة) . وذكر المرزوقي
رواية النقائض ضمن الشرح .

د - بيت واحد مر في الشرح - النقائض ص ٢٨ - وهو :

إذا كنت في قومٍ عديّ لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب

جاء آخر ثلاثة آبيات في الحماسة - ص ٣٥٩ - برواية :
(ولم تك منهم) . وأشار المرزوقي في شرحه الى رواية النقائض .

هذا كل ما جاء في الحماسة مشتركا مع النقائض . أما ما
جاء في الوحشيات والنقائض فهو قليل كذلك ، نجمله فيما يلي :

١ - آبيات غلفاء بن الحارث الخمسة الواردة في النقائض - ص ٧٤ -
وأولها :

(٢٥) كان أبو تمام يصلح من النصوص التي يروونها أن وجد فيها ما يجافي ذوقه الفني .

راجع شرح الحماسة للمرزوقي ج ١ ص ١٤ .

ان جنبي عن الفراش لنابي كتجاني الاسر فوق الطراب

جاء منها اربعة ابيات في القصيدة ٢١٣ من الوحشيات
— ص ١٣٣ — وعدد ابياتها هناك ١١ ، اما البيت الذي لم
يرد في الوحشيات فهو الخامس في النقائض ، والرواية واحدة
ولا اختلاف الا في البيت الثاني حيث جاء في النقائض : (وما
اسيخ) وفي الوحشيات : (ولا يسوغ) .

ب — قصيدة زفر بن الحارث — النقائض ص ٢٤٠ — وعدد ابياتها ١١ ،
وأولها :

أريني سلاحي لا ابالك انني ارى الحرب لا تزداد الا تماديا

اختر منها أبو تمام ٨ ابيات في الوحشيات — ص ٥٠ — وجاء
ترتيبها ٨ ، ٧ ، ١١ ، ١٠ ، ٤ ، ٥ ، ١ ، ثم بيتا غير موجود
في النقائض . اما الاختلاف في الرواية فكما يلي :

رقم البيت	النقائض	الوحشيات
١ —	أريني	ابيني
٤ —	ولا تفرحوا	ولا تحسبوا
٥ —	فقد ينبت	وقد ينبت
١٠ —	ولم	فلم
١١ —	بالصعيد ولا — من القوم	في القرين فلا — من الناس

ج — ابيات النجاشي الثلاثة — النقائض ص ١٢٩ — وأولها :

إذا الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بني العجلان رهط بن مقبل
جاءت في الوحشيات — ص ٢١٥ — بترتيب ١ ، ٢ ، ٦ ضمن

سنة أبيات . وفي رواية البيت الأخير بعض الاختلاف اذ جاء في
النقائض : (خذ الصحن فاحطب) وفي الوحشيات (خذ
القعب واحطب) .

د — بيت عميرة بن طارق الذي جاء في الشرح — النقائض ص ٩٠ —
وهو :

فلو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبداً وأزماً

وقع ضمن ثلاثة أبيات في الوحشيات — ص ٢٣٠ — ونسبها
للعوام أحد بني شيبان بن ثعلبة (وهو الصواب) . ولعميرة بن
طارق قصيدة على نفس الوزن والروي (٢٦) لعلها السبب
في اختلاف النسبة .

المقارنة بين هذه النصوص ، والاختلاف في الرواية فيها عما هي
عليه في كتب أبي تمام الأخرى ، قد تقودنا الى الظن بأن النقائض ليست
له لولا ما نعرفه عن أبي تمام من تغيير وتعديل في النصوص الشعرية
التي نقلها في الحماسة والوحشيات ، بقصد تحسين النص ، وذلك أن
الشعراء كانوا يلقون الكلام على عواهنه ولا يهتمون كثيراً بالصنعة ،
فتصدر عنهم فلتات كان أبو تمام بطبعه السليم يصلحها ، بحيث تسلم
نصوصه المختارة من الشوائب . بل اننا نراه يغير في روايته للنصوص
المشتركة بين الحماسة والوحشيات ، فقد جاء في الحماسة — ص ١١١٢
(عن التبريزي) — بيتان رواهما أبو تمام في الوحشيات — ص ١٧٥ —
باختلاف نبينه فيما يلي :

(٢٦) راجع نقائض جرير والفرزدق لابي عبيدة تحقيق بيفان — مطبعة بريل — ليدن
سنة ١٩٠٥ — ١٩١٢ ص (٥١) .

الوحشيات	الحماسة	رقم البيت
واب وابن — يُقسَّمُ	واب بر — تُفرِّقُ	١ —
عن كل ما — عن كل ما	عن كل من — عن كل من	٢ —

أما الحماسية رقم (٦٦٦) — ص ١٥٣٩ — ، وهي ثلاثة أبيات ،
فتشترك ببيت واحد مع المقطوعة رقم (٣٦٩) في الوحشيات — ص ٢٢٤ —
والمكونة من ستة أبيات ، مما يترك في المقطوعتين سبعة أبيات غير
مشتركة . والحماسية رقم (٧١٦) — ص ١٦٣٥ — ذات الأبيات الخمسة
تختلف بعض الاختلاف عنها في مختار أشعار القبائل ، الذي روى المرزباني
منها عنه أربعة أبيات في كتابه « أشعار النساء » (٢٧) — ص ١٦٢ —
والاختلاف هو التالي :

مختار اشعار القبائل	الحماسة	رقم البيت
الراقصات عشية	الراقصات الى منى	٢ —
فأنشد	وأنشد	٣ —

وهذا داب أبي تمام في تغيير النصوص . فلا يمكننا إذن ان نعتبر
اختلاف الرواية أساسا لرفض نسبة النقائض الى أبي تمام ، بل اننا
نجد في تشابه بعض النصوص دافعا لنا الى القول باحتمال نسبة
الكتاب اليه .

(٢٧) . اشعار النساء للمرزباني تحقيق الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي — دار
الرسالة للطباعة — بغداد سنة ١٩٧٦ .

مناقشة الأدلة الداعية الى رفض النسبة .

بعد ان رجح عندنا احتمال نسبة الكتاب الى أبي تمام ، علينا ان نبحث في نقاط اعتبرت دليلا على فساد هذه النسبة ، فمحصها لتتوصل الى مدى جديتها وصلاحتها لترجيح رفض النسبة .

ذكر اليميني في مقدمته لكتاب الوحشيات (٢٨) — في معرض وصفه لأصل الكتاب — ان « بعض المتأخرين لما رأى عنوانه غفلا عن ذكر المؤلف ، زاد بخطه الفارسي : تأليف الامام الشاعر الأديب الماهر أبي تمام . وهو اختلاق منه قبيح . . . الخ . . . » .

ولا ريب في أن اضافة كاتب متأخر شينا الى نسخة قديمة امر يدعو الى الشك في صحة هذه الاضافة ، ولكنه ليس بالضرورة اثباتا لبطلانها ، فربما كان الكاتب نقلها عن ورقة مهترئة او سطر مطموس ذهب مع الزمن ، أو كان اطلع على نسخة أخرى من الكتاب . وكثير من هذه الاضافات على الاصول القديمة ثبتت صحته . ولننعت مثلا على ذلك النسخة الاصلية لكتاب « طبقات فحول الشعراء » التي نشر عنها الاستاذ محمود محمد شاكر طبعته لهذا الكتاب (٢٩) — وقد اخترت هذا المثل لان محقق الكتاب شارك العلامة اليميني في تحقيق كتاب الوحشيات الذي ذكرت ما جاء في مقدمته آنفا — فقد كتب على غلافها بخط فارسي اسم الكتاب « طبقات الشعراء لحمد بن سلام » تفسيرا للعنوان المطموس . فهل يجوز لنا أن نرفض نسبة الكتاب الى ابن سلام ، لا لشيء الا لأن أحدهم أضاف اسم الكتاب ومؤلفه الى الغلاف ؟

(٢٨) الوحشيات — المقدمة — ص (٥) كما مر سابقا .

(٢٩) طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني

سنة ١٩٧٤ .

أما تلقيب أبي تمام بـ « الامام الشاعر الاديب الماهر » فلا دليل فيه على عدم صحة نسبة الكتاب ، إذ أن النساخ المتأخرين اعتادوا إضافة مثل هذه الصفات الى أسماء المؤلفين ، كالعالم العلامة والحبر الفهامة السخ . . . ، والنسبة جاءت متأخرة ولا شك ، يدلنا على ذلك الخط الذي كتبت به ، وهو خط متأخر .

أما عدم ذكر رواية عمارة بن عقيل في النقائض كثيرا (٣٠) فليس دليلا على عدم صحة النسبة ، إذ لم يصل اليها ما يشير الى أن أبا تمام كان لقي عمارة وأخذ عنه ، على الرغم من كونهما متعاصرين . بل إن ما وصل اليها في « أخبار أبي تمام » (٣١) للصولي يعطينا انطبعا بأن عمارة لم يلق أبا تمام ، بل كان أعجب بشعره عندما سمعه ، وأثنى عليه حين سئل عنه .

بقيت مسألة ذات أهمية ذكرها الدكتور المحتسب ، هي أن هذه النقائض جاءتنا غير مسندة الى أبي تمام عن أحد الرواة العلماء ؛ سنذكر تفسيرنا لها في فقرة تالية .

المصادر التي أخذ عنها أبو تمام مادة كتاب النقائض :

لكي نزيل آخر ما علق بأنفسنا من شك فيما كان من عزو الكتاب الى أبي تمام ، علينا أن نتوصل الى معرفة الطريق التي نقل عنها كتابه ، فهو يروي فيه عن أشخاص لم يقرأ عليهم أو يلقهم : فلتقد روى عن الكسائي والفراء وأبي عبيدة والأصمعي وأبي عمرو الشيباني ، وبعضهم

(٣٠) ذكر مرة واحدة ص (٦٧) .

(٣١) تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبده ونظير الاسلام الهندي . الطبعة المصورة بالامست طبع المكتب التجاري بيروت - وراجع فيه ص (٥٩ - ٦٣) .

توفي قبل ولادته ، وبعضهم قبل مجيئه الى بغداد ؛ فلا بد أن تكون هناك وساطة أو تفسير آخر لهذه المسألة .

ولو رجعنا الى ما كان قصه التبريزي في مقدمة شرحه لديوان الحماسة من احتباس ابي تمام عند ابي الوفاء بن سلمة بسبب هطول ثلج عظيم ، فنسفل وقته هناك بالمطالعة في خزانة كتبه ، والتأليف ، فنصف خمسة كتب، منها كتاب الحماسة ، والوحشيات ، لوصلنا الى حقيقتين : الاولى أنه صنف كتبه معتمدا على خزانة كتب ابي الوفاء ، بالاضافة الى ما كان يحفظه ؛ وهذا قد يفسر نقله عن الكسائي والفراء وغيرهما ممن تقدم زمنه . والثانية أنه صنف خمسة كتب هي : الحماسة — التي سماها أبو تمام « الاختيارات من شعر الشعراء » — والوحشيات ، ومختار اشعار القبائل ، وغدول الشعراء . واذا سلمنا بأن الحماسة هو كتاب الاختيارات (كما ذكر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي) (٢٢) ، يبقى لدينا كتاب خامس من تأليف ابي تمام لاندرى ماهو ، ولعله نقائص جرير والأخطل .

بقي علينا ان نبحث عن ابي سعيد الذي يذكره أبو تمام بالكنية مجردة (٢٣) ، فهو اما أن يكون عالما مشهورا بكنيته دون اسمه أو لقبه ، ونقل ابو تمام عنه من الكتب ، (ولكن هذا الافتراض يتداعى اذا لاحظنا ان ابا تمام يقول في كتابه « وأخبرني ابو سعيد » (٢٤) ، ونستبعد أن يكون قالها تساهلا كما كان يفعل بعض العلماء عند رواية بعض الكتب اجازة) ، واما ان يكون شخصا لقيه أبو تمام وأخذ عنه ، وهذا هو الافتراض الاكثر احتمالا . فمن يكون أبو سعيد في هذه الحالة ؟

(٢٢) ديوان الحماسة — مختصر شرح التبريزي — تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي — مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٩٥٥ — ص (٣) .

(٢٣) مر ذكر ابي سعيد تسع مرات وذلك في الصفحات ١ ، ٢ ، ٧ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٦٣ ، ١٥٢ ، ١٦٥ .

(٢٤) ص (١) من الكتاب .

نعرف أن أبا تمام عندما تصد عبيد الله بن طاهر مادحا ، وجد عنده
أبا العميثل وأبا سعيد الضيرير (٢٥) ، وبعد جفوة اللقاء الأول توطدت
عرى الصداقة بينه وبينهما . وأبو سعيد هذا كان من علماء العربية ،
وثقه الأزهري (٢٦) وروى عنه . وقد روى عن الأصمعي ، ولقي أبا عمرو
الشيباني وابن الأعرابي ، كما أخذ عنه ابن قتيبة . أما اسمه فهو أحمد
بن خالد المبارك ، لكنه اشتهر بالكنية واللقب . ولأبي سعيد هذا اهتمام
خاص بالنقائض . جاء في انباه الرواة (٢٧) خلال ترجمة أبي بكر القاري
الرازي : « رأيت نسخة من النقائض ، رواية أبي بكر القاري عن أبي
سعيد أحمد بن خالد في مجلدين » . ثم أنه كان أخذ عن أبي عمرو الشيباني
— الذي عمل نقائض جرير والأخطل (٢٨) — وابن الأعرابي — الذي روى
شعر جرير وشعر الأخطل — فلا يبعد أن يكون أبو تمام نقل عنه بعض
مادة النقائض هذه مباشرة . ونرى نحن أن مادة النقائض جمعها أبو تمام
مما رواه عن أبي سعيد الضيرير — ولم يذكر لقبه في كتابه ، لقرب صلته
به ، وعدم احتمال الالتباس فيه — بالإضافة إلى ما رواه عن غيره وما
جمعه من كتب ابن سلمة . ونكاد نرى تأثير أبي سعيد هذا في قراءة كثير
من النصوص الشعرية التي تعتمد رواية ابن الأعرابي في الغالب (وتعرف
عن أبي سعيد رواية الشعر عليه) إذ لا تتخللها سوى روايات محدودة
لبعض شعر جرير عن عمارة المعاصر لأبي تمام ، والذي ربما كان لقيه
وأخذ عنه ، على الرغم من شكنا في ذلك .

(٢٥) أخبار أبي تمام ص (٧٢) .

(٢٦) تهذيب اللغة ج (١) ص (٢٤) .

(٢٧) انباه الرواة على أنباه النحاة للقطبي — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم —
دار الكتب ١٩٥٠ — ١٩٧٣ ج (٤) ص (٩٤) .

(٢٨) الفهرست (١٨٠) وفي نكت الهميان للسيوطي ص (٩٦) أنه لقي أبا عمرو
الشيباني وابن الأعرابي. وينقل الموشح للرزباني بتحقيق البجاوي ص (٥٧) عن
أبي سعيد الضيرير قوله : سمعت الأصمعي يقول

أما عدم انتشار الكتاب واشتهاره فنعزوه لسببين : الأول أن الكتاب لم يؤخذ عن أبي تمام ، شأنه في ذلك شأن بقية كتبه التي ضمن بها آل سلمة ، ولم يظروها الى أن اضطرهم ضيق الحال الى بيع نفائس خزانة كتبهم ، وكان ذلك بعد وفاة أبي تمام . وهذا السبب ساعد على عدم اشتهار هذا الكتاب ، ولكنه لم يكن وحده ليمنع من انتشاره ، كما لم يمنع من انتشار بقية كتب أبي تمام (كالحماسة، ومختار اشعار القبائل) لو لم يضاف اليه سبب آخر تضافر معه على الحد من شهرة هذا الكتاب ، بحيث لم يذكره صاحب الفهرست أو غيره ممن ترجم لأبي تمام . هذا السبب هو — في اعتقادي — أن الكتاب كان على شكل مسودة لم يكمله أبو تمام ولم يبيّضه . يدلنا على ذلك التقصير الواضح في استيفاء كامل نقائض جرير والأخطل . فمثلا لم يذكر قصيدة جرير (الديوان ص ٨٣٤) :

أَجْدُ رَوَاحِ الْقَوْمِ أَمْ لَا تَرَوْحُ : نَعَمْ ، كُلٌّ مِنْ يَمْنَى بِجَمَلٍ مَتْرَحٍ
ونقيضها للأخطل (الديوان ص ٧٤٩)

إلا جعل الله الأخلأ كلهم : فداء لغوث حيث أمسوا وأصبحوا .

كما جاء في ديوان جرير — غير القصيدة السابقة — ما ينوف على ٣٥٠ بيتا قصائد تضمنت هجاء الأخطل ، وجاء في ديوان الأخطل من القصائد المتضمنة هجاء جرير ما يقارب ٢٠٠ بيت ، كلها اخل بها كتاب نقائض جرير والأخطل ، في حين حوى الكتاب نقائض لغيرهما، كزفر بن الحارث ، وعمرو بن مخلد الحمار ، وجواس بن القعطل السخ . . . مما يوحي بأن أبا تمام كان ينوي التوسع في الكتاب ، ولكنه لم يتمه كما أراد له أن يتم . ويعزز ما ارتأيناه سوء في التبويب ، واغفال لذكر كثير من الايام والحوادث ، مع التوسع في ذكر غيرها من الوقائع ، ثم انهاء الكتاب

بذكر سبب البدء في التهاجي بين الشعارين ، مع أن المفروض عقلا أن يذكر ذلك في أول الكتاب .

كل هذا ، مضافا الى ان ابا عمرو الشيباني والأصمعي قاما بعمل هذه النقائض (٤٠) ، وربما بشكل أجود واكمل ، قد يفسر السبب في قلة الاهتمام بكتاب ابي تمام ، فلم يرزق الكتاب غير المنقح هذا الشهرة التي رزقها غيره من كتبه .

خاتمة :

المطالع لكتب الادب يلاحظ كثرة الاحالات على نقائض جرير والفرزدق ، مع ندرة ذكر نقائض جرير وغيره من الشعراء ، كالاخطل ، وعمر بن لجأ ، وكُلَّ عَمَلُهُ ائمة مشهورون ، كالاصمعي ، وابن حبيب ، وابي عمرو الشيباني . ولكن نقائض جرير والفرزدق بقيت نسيج وحدها في اهتمام العلماء بها . ولعل ذلك كان بسبب غزارة مادتها ، وامتداد فترة الملاحة بين الشعارين ، وكون النقائض الأخرى جاءت عرضا بسبب تحيز شاعر مما لأحدهما . فالأخطل حكم للفرزدق على جرير عند بشر بن مروان (٤١) ، وعمر بن لجأ كان محلبا للفرزدق ، مما دعا جريرا لتسقط عورات شعره ، ودعا عمر الى تشويه شعر جرير (٤٢) فاندلعت نار المهاجاة بينهما .

لكننا نرى ميزة خاصة للمهاجاة بين جرير والأخطل لا نراها في مهاجاته لغيره من الشعراء ، وهي الصفة السياسية لهذه المهاجاة ،

(٤٠) الفهرست ص (١٨٠) كما مر سابقا .

(٤١) نقائض جرير والأخطل — تأليف الدكتور عبد المجيد المحتسب — ص (٩٢) وما بعدها .

(٤٢) راجع سبب المهاجاة بين جرير وعمرو بن لجأ ديوان الآخر ص (٥٩) وما بعدها ،
نقلا عن طبقات الشعراء والموشح والاغاني والخزانة . .

ففيها حمل جرير لواء القيسية ، مشيدا بأيام قيس ، مفتخرا بهم في خضم هجومه على تغلب ، التي كان بينها وبين القيسيين وقائع وحروب في ذلك العهد . هذا الدفاع الذي كان في ظاهره تعييرا للأخطل بأيام قيس على تغلب ، وكان في حقيقته انحيازاً ، واتخاذ موقف سياسي معاضد للقيسيين ضد منافسيهم ، ومحاماة عنهم في وجه تحريض الأخطل لرجال الدولة عليهم . وقد كان لجرير في أيام يربوع وتغلب مندوحة عن ذكر أيام قيس ، كما كان في غنى عن نقض تصيدة الأخطل : (عفا واسط من آل رضوى فنبتل) التي لم يتعرض الأخطل بها لذكر جرير وقومه ، لولا أنه وجد في هذه المهاجاة فرصة للدفاع عن قيس دون التعرض لغضب اليمانية ، الذين كان كثير منهم ذوي مراكز مرموقة في الدولة . ونرى أنه اغتنم فرصة وجدها سانحة في الرفع من شأن قيس والحط من تغلب ، وهي قبيلة لم يكن لها شأن في الدولة بسبب دينها ، فاتخذ من هجائها وسيلة لنشر مآثر قيس ومفاخرها دون أن يثير كبير سخط عليه في أوساط الفئة الحاكمة ، التي كان يطمع في نائلها .

وقد كان متوقعا أن تساعد هذه الصبغة السياسية على سعة انتشار قصائد جرير في هجاء الأخطل ونقائضها من قصائد الأخطل ، وكانت بالفعل مدعاة لاشتهارها ، بحيث اختار أبو زيد القرشي ملحمة جرير من ضمن نقائضه للأخطل (٤٣) ، كما ارتأى ابن حبيب والسكري أن يبدأ ديوانيهما بقصيدتين من نقائضهما (٤٤) ، وعلى الرغم من كل هذا لم يكتب لهذه النقائض من الشيوخ بين الدارسين والمتأديبين ما كتب لنقائض جرير

(٤٣) راجع : جمهرة أشعار العرب تحقيق علي محمد البجاوي - المطبعة الأولى - دار نهضة مصر . ص (٨٨٦) .

(٤٤) القصيدة الأولى في ديوان جرير - صنعة محمد بن حبيب - هي (حى الفداء برامة الاطلا) ، والأولى في ديوان الأخطل - صنعة السكري - هي (عفا واسط من آل رضوى فنبتل) .

والفرزدق . ولعل ذلك راجع لضخامة الثروة اللغوية التي احتوتها الأخيرة .
ومهما كان السبب فان ما وصل الينا عن نقائض جرير والاخلط لم يتعد
بعض أسماء من قاموا بعملها ، ثم هذا الكتاب الناقص غير المنقح ،
والذي يشك في مؤلفه ؛ وهو مصر كم عرفناه لكثير من تراثنا القيم ؛ فكم
أخمد شاعر ذكر شعراء مجيدين عاصروه ، وكم عفى كتاب على آثار كتب
تناولت موضوعه لاستغناء الدارسين به عنها . . .

وسواء اكان الكتاب هذا لأبي تمام ام لغيره ، وسواء اكان مسودة
ام كتاباً كاملاً عبثت به يد الزمن ، فاسقطت من أوراقه وشوشت
من ترتيبه ، فانه يبقى ذا قيمة كبيرة ؛ فقد حفظ لنا نصوصاً شعرية
لم ترد في غيره ، ونقلوا لغوية ذات فائدة عن علماء كانوا ائمة عصرهم ،
وأخباراً تلقي الضوء على الصراع السياسي الذي شهدته تلك الفترة من
الزمن ، وتأثير الحوادث في الحركة الشعرية التي رافقتها آنذاك .

وعساني اكون ارتكبت شططا في تقديراتي ، وعساني اكون أصبت ،
ولعل غيري من المتفرغين يطلع على نصوص لم تحضرني ، توصله الى ما
استنتجت أو الى خلافه . ولكن بحثي هذا يبقى محاولة للوصول الى حقيقة
يصعب اثباتها بما توفر لدينا من معلومات ، مما دفعني الى كثير من
التقدير والحدس ، أرجو أن يقبض لي الاطلاع على ما يؤكد في المستقبل .
والله أسأل أن يوفقني الى الصواب ، انه نعم الهادي ونعم المعين .

المهندس حاتم غنيم